(( شخصية استوقفتني

بلال بن رباح ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

الأولى

كان الناس عرباً وعجماً يعيشون في ظلالة عمياء، وجاهلية مظلمة سوداء، وإعراض عن نور السماء ، فبعث النبي في بيئة قد أصيبت بفساد في عقيدتها، وأخلاقها، ومبادئها،

بعث النبي فرأى الشرك والظلم، رأى معاقرة الخمور، والخلاعة والفجور، رأى القسوة إلى حدِّ الوأد، وقتل الأولاد، رأى الأمم قطعاناً من الغنم ليس لها راع، فجاء ودعا الناس إلى الإيمان بالله وحده والكفر بالطاغوت، فنادى في الناس قولوا : ((لا إله إلا الله)) ؛ فأسلمت القلوب إلى بارئها، وآمنت بالله الذي له الأسماء الحسنى، آمنوا بالله رب العالمين، آمنوا بالله الذي يثيب بالجنة، ويعذب بالنار، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فانقلبوا بهذا الإيمان انقلاباً عجيباً، ففعلوا الأعاجيب، وفتحوا العالم.

ونحن اليوم على موعد مع رجل من رجال ذلك الركب الميمون، رجل تغلغل الإيمان في قلبه، فذاق حلاوته، بعد ما نشأ رقيقاً، يعيش حياة العبيد، يخدم سيده فيسمع له ويطيع ، ليس له حقٌ في ماله ولا يومه ولا أمل له في غده، يرعى الإبل، ويحلب الشاة، ويطحن العجين، ويقم البيت، ويضع كأس الخمر لسيده، حياته مليئة بالذلّ، والرّق، والهوان

**حياته**

هي أن يقــول كمـا يقـال ❖ فـلا اعتـراض ولا ردود

فـي أن يسيـر مـع القطيـع ❖ وأن يُقــاد ولا يُقـــود

فـي أن يعيـش كمـا يُــراد ❖ ولا تعيش كمـا تـريــدُ

فجاء الأيمان فصنع المعجزات، وأسلم هذا الصحابي الجليل الحبشي/ بلال ابن رباح

أسلم داعي السماء، أسلم المؤذن الأول، آمن أول من صدع بالحق على منارة الحق في دنيا الحق، بلال ابن رباح ، اسمٌ لا يسمعه أحدٌ منّا إلا ويشعر بالفخر والعزة والاستعلاء ، اسمٌ رفع الله ذكره في الأرض وفي السماء .

بلال ابن رباح ، يحبّه المؤمنون ، وصوته تشتاق إليه آذان الموحّدين .

بلال ابن رباح ، إذا رأيت العبّاد رأيته بينهم ، وإذا ذكرت المجاهدين رأيته في ساحاتهم ، وإذا تحدّثت عن المتصدقين والمحسنين رأيته في ميدانهم .

بلال ابن رباح ، لقبٌ يستحقّ صاحبه أن يربح الدنيا بما فيها، سيرته من أروع سير المجاهدين في سبيل العقيدة والتوحيد .

بلال ابن رباح، عاش حياتين، عاش حياة الذل، والكفر، والرّقّ، والمهانة، عاش ميّت الروح، ضيق الصدر، يتيه في الظلام، ويخدم عبّاد الأصنام، فأحيا الله تعالى قلبه، وشرح صدره، وأسلم ، وودّع حياة الكفر والمعصية، وطار خبر إسلامه إلى سيّده ومولاه/ أميّة ابن خلف، فتميّز من الغيظ، وأقسم بالات والعزى ألا تغرب شمس ذلك اليوم إلى وقد رجع بلال عن دينه ، ولكن هيهات هيهات .

أنى لبلال أن يرجع للكفر بعد أن أنقذه الله منه ؟

أنّى لبلال أن يعود إلى الكفر والذل وقد تغلغل الإيمان في سويداء قلبه ؟

فوالله لو قطع إربا إربا لن يرجع عن دينه، وبدأت رحلة العذاب مع بلال، وراح سيده يذيقه من العذاب ألواناً، فقيدوه بالحديد، جلدوه بالسياط، جردوا ثيابه، خرجوا به في حر الظهيرة حين صارت رمال مكة ناراً، وفرّت الطيور إلى أعشاشها، والحيوانات إلى حجورها، وبلال في وهج الشمس يذوق ألواناً من الأذى والعذاب ويردّد : [[ أحدٌ ، أحدٌ ]] من هو الواحد الأحد ؟ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭼ

أحدٌ .. أحدٌ يا أمية ابن خلف ، أحدٌ .. أحد أيها الظالم ، أحدٌ .. أحد أيها الفاجر .

أحدٌ .. أحد أيها النمرود الكافر ، أحدٌ .. أحد أيها المظلوم والمسجون والمقهور .

أحد.. أحد أيها الزوج الظالم، أحدٌ .. أيها الابن العاق، أحدٌ.. أحدٌ أيها الوالد الغافل عن رعيته.

أحدٌ .. أحد أيها المبتلون أيها المرضى والمنكوبون ، أحدٌ .. أحد أيها المجاهدون في سبيل الله

مع الله في حب أهل التُقى ❖ مع الله في كُره من قد فجر

مع الله في مدلهم الدجى ❖ مع الله عند انبلاج السحر

مع الله في بعثه المرسلين ❖ هداةً دعاة إلى ما أمر

مع الله في وحي قرآنه ❖ مع الله في آيهِ والسور

ونحيا به ثم نحيا به ❖ ونحيا ونحيا ونحيا الدهر

ثبت بلال بعد أن هبّت رياح الإيمان في قلبه ، فجاءت بأعاجيب الثبات في العقيدة، والسلوك، والأخلاق، ثبت بلال بإيمانٍ كالجبال وكأنّه يقول لأميّة ابن خلف ومن معه: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ طه: ٧٢ فعلمهم بثباته معنى (( أحدٌ .. أحد )) علمهم أن الإيمان ليس بالتمنّي ولا بالتحلّي، ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل، ويمر أبو بكر الصديق فيرى بلالاً في مشهدٍ أليمٍ من العذاب، فقال يا أميّة ابن خلف : اشتريته منك ، فاشتراه أبو بكر واعتقه لوجه الله فنزل قول الله تعالى

ﭽ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ الليل: ١٧ - ٢١

فانطلق بلال بعد عتقه وثباته إلى النبي ممزّق الثياب، مقطع الأشلاء، مضرج بالدماء فرحاً بإيمانه وصبره وثباته فآواه النبي ، وقرّبه، وعيّنه المؤذّن الأول؛ فكلّما حان وقت الصلاة نادى بلال بصوته الشجيّ : (( الله أكبر .. الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمّداً رسول الله )) وكلما نزل بالنبي همٌّ أو حزبه أمرٌ نادى : " أرحنا بها يا بلال "

الله أكبر، بلال الذي كان بالأمس يباع ويشترى، إن تكلّم لا يسمع له، وإن شفع لا يشفّع، وإن نكح لا يزوّج، ها هو اليوم تصمت الدنيا كلّها لتسمع صوته، وتخرص الأصوات كلّها إلّا صوت بلال يتعالى بـــ : (( الله أكبر .. الله أكبر )) بل ويدنيه النبي ، ويقربه من مجلسه بل ويحظى بشرف خدمة سيد ولد آدم فيأتيه بوضوئه، ويحمل نعله، وحذائه، فأحبّه النبي وبشّره بالجنة، فقال له : **«** يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ ((يَعْنِي تَحْرِيكَ نعليك)) » رواه البخاري .

الله أكبر .. بلال في الجنة، إنها البشارة العظيمة، والفوز الكبير، إِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ، قَالَ يا رسول الله : مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ » .

ويعيش بلال بعد إسلامه حياةً كريمةً حتى جاءت غزوة الفرقان يوم التقى الجمعان في غزوة بدر الكبرى، ووقف بلال بعزة الإسلام ينتظر لحظة البدء ليزلزل عرش الباطل، ويمرّغ أنوف الشرك في التراب، وحانت ساعة الصفر، واشتدّد القتال، وحمي الوطيس، وبلال يغدو ويروح في ساحة الوغى، وفجأة وقف بلال أمام الطاغية أمية ابن خلف، الله أكبر هذا الاسم الظالم الذي أذاق بلالاً في مكة ألواناً من العذاب، يقف الآن في غزوة بدر، فصاح بلال بأعلى صوته رأس الكفر فَقَالَ بِلاَلٌ: أُمَيَّةُ بْنُ خَلَف «لاَ نَجَوْتُ إِنْ نَجَا» ؛ فقال عبدالرحمن بن عوف : «أسيري يا بلال ، فصاح بلال : لاَ نَجَوْتُ إِنْ نَجَا ، يا أنصار الله رأس الكفر أمية ابن خلف ، لاَ نَجَوْتُ إِنْ نَجَا »

فانهالت ضربات السيوف على رأس الكفر أمية ابن خلف ، حتى سقط قتيلاً ، صدق الله ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ آل عمران: ١٤٠

هَنيئاً زادَكَ الرَحمنُ خَيراً ❖ فَقَد أَدرَكتَ ثَأرَكَ يا بِلالُ

إِذا هابَ الرِجالُ ثَبَتَّ حَتّى ❖ تُخالِطَ أَنتَ ما هابَ الرِجالُ

ومضى بلال يسير إلى ربّه ثابتاً مجاهداً، يعيش حياة الإيمان لحظة بلحظة، حتى جاء اليوم المشهود، وحانت رحلة الفتح المبين، للبلد الأمين ودخل النبي مكة فاتحاً مع جموع المؤمنين وبلال يمضي في ذلك الركب الميمون إلى أرض مكة ؛ فلمّا دخلها تحرّكت الذكريات في نفس بلال وهو ينظر في أرض مكة

هنا عشت رقيقاً .. هنا عشت عبداً خادماً للكفر وأهله .. هنا أسلمت .. وهنا عُذّبت .. وهنا تغنّيت بأحد .. أحد ، وفتح النبي مكة ودمّر الأصنام ، ومزّق الأوثان ، فقد ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ، وحان وقت الصلاة وإذا بالنبي يقول: "أين بلال؟" الله أكبر أين بلال ؟ "

أين من كان بالأمس عبداً حبشيا ؟

أين من كان يعذّب في رمضاء مكة ؟

أين الصابر المعذب المبتلى في سبيل الله ؟

أين من كان يترنم ويتغنى بأحد .. أحد ؟

فقال بلال : لبيك يا رسول الله ، فقال رسول الله : اصعد على الكعبة وأذّن للصلاة ، فتقدم بلال بعزّة الإسلام ونور الإيمان ، وصعد على الكعبة ونادى في يوم الفتح الأكبر بأعلى صوته : الله أكبر .. الله أكبر ، انتصر الضعفاء ، ذهبت أيام المحن والبلاء ، وحلّت ساعات المنح والعطاء ، وصدع بلال بصوته الصيت العذب ينادي : بالله أكبر .. الله أكبر ، ارتفعت الرؤوس والأعناق تنظر إلى بلال ، وهو ينادي بنداء التوحيد الله أكبر يا عرب يا عجم يا حجر يا شجر، الله أكبر الله أكبر.

الله أكبـر.. ما طغى ظالم وتجبر، الله أكبر كلما انتفش باطل وزمجر..

رضينا بك اللهم رباً وخالقاَ ❖ وبالمصطفى المختار شهماً وهاديا

بكى جموع الصحابة ، اهتزّت القلوب ، انسكبت العبرات ، ذلّ الناس لربّهم .

أين أبو جهل ؟ في النار ؛ أين أبو لهب ؟ في النار ؛ أين أمية ابن خلف ؟ في النار .

أين بلال ابن رباح ؟ في الجنة ؛ صهيب الرومي ؟ في الجنة ؛ سلمان الفارسي ؟ في الجنة .

عليك بتقوى الله في كل حاجة ❖ ولا تترك التقوى اتكالاً على النسب .

فقد رفع الإسلامُ سلمانَ فارس ❖ وقد وضع الكفرُ النسيبَ أبا لهب .

أقول قولي هذا واستغفر الله ...

الثانية

لكل بداية نهاية، ولكل أجل كتاب، فبعد الفتح المبين، والنصر العظيم، يموت الإمام، ويبقى المؤذن، مات النبي فأظلمت الدنيا، وضاقت الأرض بما رحبت، فقد مات الرحمة المهداة، مات صاحب الرسالة العصماء، فبكى بلال لفراق حبيبه وحق له أن يبكي، فكيف يطيب العيش بعد موت القائد الكبير صاحب الخلق العظيم ، والقلب الرحيم ؟ ولكن هكذا الدنيا اجتماع وافتراق ، وحياة وموت ﭽ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ

ومع بزوغ الفجر قام بلال ليؤذّن لصلاة الفجر، وهو يعيش حالة من الأسى، والحزن على فراق الإمام فأذن بصوته الشجيّ : الله أكبر .. الله أكبر .. أشهد أن لا إله إلا الله .. ، وجاءت قاصمة الظهر ، أتت المعضلة التي تلعثم عندها اللسان عندها ، وحبس الكلام ، وبكى الجنان، ودمعت العينان ، وانقطع الأذان ، أشهد أن محمداً رسول الله ، بكى بلال فقد مات محمدٌ رسول الله ، مات الإمام وبقي المؤذن، مات الذي شرّف بلالاً بالأذان ، فأحجم بلالٌ عن الأذان بعد موت الإمام وخرج من المدينة إلى أرض الشام مجاهداً في سبيل الله ، وفي ليلة ظلماء آوى بلالٌ إلى فراشه ، فرَأَى النَّبِيَّ فِي مَنَامِهِ وَهُوَ يَقُوْلُ: (مَا هَذِهِ الجَفْوَةُ يَا بِلاَلُ؟ أَمَا آنَ لَكَ أَنْ تَزُوْرَنِي؟) .

فَانْتَبَهَ حَزِيْناً، وَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ، وَقَصَدَ المَدِيْنَةَ، فَأَتَى قَبْرَ النَّبِيِّ فَسلّم عليه وجَعَلَ يَبْكِي عِنْدَهُ ، فَأَقْبَلَ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ، فَقَالاَ لَهُ: يَا بِلاَلُ! نَشْتَهِي أَنْ نَسْمَعَ أَذَانَكَ.

فَاستجاب لهما ، وَعَلاَ السَّطْحَ، وَوَقَفَ.

فَلَمَّا أَنْ قَالَ: الله أَكْبَرُ، الله أَكْبَرُ، ارْتَجَّتِ المَدِيْنَةُ؛ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ .

فَلَمَّا قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ، خَرَجَتِ العَوَاتِقُ مِنْ خُدُوْرِهِنَّ.

وَقَالُوا: بُعِثَ رَسُوْلُ اللهِ.

فَمَا رُؤِيَ يَوْمٌ أَكْثَرَ بَاكِياً وَلاَ بَاكِيَةً بِالمَدِيْنَةِ بَعْدَ رَسُوْلِ اللهِ مِنْ ذَلِكَ اليَوْمِ .

وبلغ بلال من السنّ ما بلغ فحانت لحظات وداعه لهذه الدنيا ، وجاءه رسول الموت ليقبض روحه ، ونزلت سكرات الموت بهذا العبد الصالح ، ودخلت زوجته تَقُوْلُ : وَاوَيْلاَهُ، واكرباه ، وبلال يقول : وافرحاه وافرحاه .. غَداً نَلْقَى الأَحِبَّهْ ... مُحَمَّداً وَحِزْبَهْ

وفاضت تلك الروح الطيبة إلى ربّها ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ الفجر: ٢٧ – ٣٠

فسلام عليك يا بلال ، سلام على ثباتك وإيمانك ، سلام على توحيدك ودينك

أيها الجيل هلّا تعلمنا من مدرسة بلال عزة الإسلام ونور الإيمان ؟

أيها الجيل هلّا تعلمنا من مدرسة بلال كيف يصنع الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب ؟

أيها الجيل هلّا تعلمنا من مدرسة بلال كيف كان حبّه للنبي وسنّته ؟

أيها الجيل هلّا تعلمنا من مدرسة بلال كيف تكون الخاتمة الحسنة والشوق إلى الله تعالى ؟

وداعاً يا بلال وإلى الملتقى في جنات النعيم ، في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .